

266096 - شبهة حول تبديل سينات الكافر حسنات إذا أسلم

السؤال

هل الكافر إذا كان يؤذى الناس ، ويتمادي في الفساد ، وكافر آخر لا يؤذى الناس ، فهل الكافر الذي يؤذى الناس ويتمادي في الفساد يكن عند إسلامه أعظم أجرا من الكافر الذي لا يؤذى الناس إذا أسلم هو أيضا ؛ لأن الكافر الذي يؤذى الناس له سينات كثيرة فتصبح عند إسلامه وتبنته كلها حسنات، يعني هل تبدل سيناته التي عملها أثناء ارتداه إلى حسنات يعني إذا عنده ألف سينية تصبح ألف حسنة ؟ والدليل ما أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبي فروة شطب أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : (أسلمت ؟) فـقال : نعم ، قال : (فافعل الخيرات ، واترك السينات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها) ، قال : وغدراتي وفجراتي ؟ قال : (نعم) قال : فما زال يكبر حتى توارى . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَخْرَأَهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَأَخْرَأَهُ أَهْلَ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: اغْرِضُوا عَلَيْهِ صِفَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتَعْرَضُ عَلَيْهِ صِفَارُ ذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارَ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعَرَّضَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانًا كُلًّا سَيِّئَةً حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْياءً لَا أَرَاهَا هَا هُنَا) فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِحَّ حَتَّى بَدَثَ نَوَاجِدُهُ .

وحدث آخر ليتمكنن أقوما لو أكثروا من السينات إلى نهاية الحديث ، فهل هذا الكلام صحيح ؟

الإجابة المفصلة

دللت النصوص على أن الكافر إذا أسلم بدللت سيناته حسنات، ومن ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْثُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُلْقَى أَثْمًا يُضَاعِفُ لَهُ الْعَدَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَالًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) الفرقان/68-70 .

ومن ذلك حديث أبي فروة الذي ذكرت، وهو حديث حسن صحيح كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في المطالب العالية (2847).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " وقد وردت أحاديث صريحة في أن الكافر إذا أسلم ، وحسن إسلامه ، تبدل سيناته في الشرك حسنات ، فخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبي فروة شطب أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : " أسلمت ؟" فـقال : نعم ، قال : " فافعل الخيرات ، واترك السينات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها " قال : وغدراتي وفجراتي ؟ قال : " نعم " قال : فما زال يكبر حتى توارى" انتهى من جامع العلوم والحكم (300/2).

وأما حديث: "ليتمنن أقوام..." فقد رواه الحكم في المستدرك (7718) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وأله وسلم - : "ليتمنن أقوام لو أكثروا من السيئات" ، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: (الذين بدل الله سيناتهم حسنات) " وصححه الحكم، والألباني في السلسلة الصحيحة (5/209).

وهذا الحديث وحديث أبي ذر عند مسلم هو في شأن المسلم المذنب، فإنه تبدل سيناته حسنات أيضا ، بالتوبة، وينظر للفائدة: جواب السؤال رقم (129710).

فإن قيل: كيف ينال الكافر المؤذن للمسلمين أجراً أكثر من الكافر الذي كان لا يؤذن لهم، أي إذا أسلم هذا وهذا؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن هذا الكافر الفاجر المؤذن لو أسلم كان ذلك عملاً عظيماً كبيراً؛ لما فيه من تخليه عن دينه، وشهواته وجرائمها، وكلما عظمت جرائمها ، كان تخليه عنها أعظم من قلت جرائمها وموبقاتها، فلا عجب أن يكون أجره أعظم وأكبر حين تبدل سيناته حسنات.

الثاني: أن الشأن كله في توفيق هذا الكافر الفاجر للإسلام، فلا يوفق لذلك كل أحد، والله أعلم بمن يستحق الهدایة والإكرام، ممن لا يستحق ذلك، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنْ أَنْذَلَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/53

الثالث: أن هذا التبديل في الدنيا ، بمعنى أنَّ الله يُبَدِّلُ من أسلم وتاب إليه بَدَلَ ما كان عليه من الكفر والمعاصي : الإيمان والأعمال الصالحة . وحكي هذا القول إبراهيم الحربي في "غريب الحديث" عن أكثر المفسرين ، وسمى منهم : ابن عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والسدسي ، وعكرمة . وهو المشهور عن الحسن. ينظر : "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (1/319) .

الرابع: وهو ما ارتضاه ابن رجب الحنفي رحمه الله ، تقريراً ، في جواب من قال: "يَلْزَمُ مَنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَنْ كَثُرَتْ سِينَاتُهُ أَحْسَنَ حَالًا مَمْنُ قَلَّتْ سِينَاتُهُ" ؟

فيقال: إنما التبديل في حقِّ مَنْ نَدَمَ على سيناته ، وجعلها نصب عينيه ، فكلما ذكرها ازداد خوفاً ووجلاً وحياء من الله ، ومسارعة إلى الأفعال الصالحة المكفرة ، كما قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً) ، وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ، ومن كانت هذه حاله فإنه يتجرأ من مرارة الندم والأسف على ذنبه أضعاف ما ذاق من حلاوتها عند فعلها ، ويصيِّر كُلُّ ذنبٍ من ذنبه سبيلاً لأعمال صالحة ماحية له ، فلا يُستنكر بعد هذا تبديل هذه الذنوب حسنات." انتهى، من "جامع العلوم والحكم" (1/322) .

والله أعلم .